

قراءة في "الحقيقة والمجاز في الرحلة إلى الحجاز" للشيخ العربي بن عبد الله شنتوف العسكري

الدكتور مختار بونقاب،

جامعة مصطفى اسطمبولي - معسكر

mokhtar.boungab@univ-mascara.dz

تاريخ الإرسال: 29 / 03 / 2023؛ تاريخ القبول: 21 / 04 / 2023

"Truth and Trope on a Trip to the Hidjaz" Cheikh Larbi Ben Abdullah Chentouf El-Mâasakri

Abstract: A trip towards Hidjaz that Cheikh Larbi Ben Abdullah Chentouf El-Mâasakri had made in 1901 and wrote about it some years later in 1920. This historic journey was built upon two main paths: The first one symbolises the corporal and material trip which was carried out by Cheikh departing from his home town Mascara in destination of The Holy City of Mecca in order to perform the pilgrimage rituals "Hajj". In his manuscript, he mentioned the various places where he had stopped over during a long and an exhausting trip. In addition, Cheikh talked about chiefs and common populations of different tribes he got acquainted with. He also hinted at hazardous situations he had faced while touring over these lands. The second one was based upon the spiritual aspect through which Cheikh Chentouf explicated everything cognitively according to the "Sufi" way, knowing that he himself used to be a member of the "Derkaouia and Chadhilia" brotherhood as well as a fervent Sufi.

Keywords: El-Mâasakri; Cheikh Larbi Chentouf; A trip; Derkaouia.

الملخص:

"الحقيقة والمجاز في الرحلة إلى الحجاز" هي رحلة قام بها الشيخ العربي بن عبد الله شنتوف العسكري سنة 1901م، وكتبها عام 1920م، تبني هذه الرحلة في هيكلها العام على مسارين: الأول: يمثل الرحلة الحسية المادية التي قام بها الشيخ العربي من مدينة معسكر قاصدا بيت الله الحرام لأداء فريضة الحج، مع تسجيل كل ما مر به من البلدان، وما لقيه من العامة والأعيان، وما حصل له من الأحداث.

الثاني: هي الرحلة الروحية التي فسر فيها الشيخ شنتوف كل شيء عرفانيا صوفيا باعتباره من أتباع الطريقة الدرقاوية الشاذلية، وأحد الرجال المتصوفة.

الكلمات المفتاحية: العسكري؛ الشيخ العربي شنتوف؛ الرحلة؛

الدرقاوية.

مقدمة:

أدب الرحلة هو فن تتعاقب فيه القيم الجمالية مع الحمولة الفكرية المعرفية، فالكتابة الرحلية تضيف إلى القارئ من الإمتاع واللذة بنفس القدر الذي ضيفه إليه من الأخبار والطرائف والأحداث (حبيب بوزوادة، 2014: 95). المخطوط هو أحد مؤلفات الشيخ شنتوف بن عبد الله، حققه ميلود مخلوفي أحد المهتمين بالتاريخ والتراث المحلي لمنطقة

معسكر، والكتاب هو عبارة عن رحلة حجازية قام بها الشيخ شنتوف سنة 1901.

وعن أهميتها يذكر أن الرحلة سجلوا ما وقع تحت أعينهم وما لفت أنظارهم وما أثار انطباعاتهم، فوصفوا البلاد وصوروا العباد، وتفننوا في جمع المعلومات الجغرافية والتاريخية والحضارية فاستفادوا وأفادوا ... (مولاي بلحميسي، 1981: 09).

أنواع الرحلة وأغراضها:

والرحلة أنواع بحسب الأهداف والغايات المرجوة منها، سنوجزها في الآتي:

الرحلة في طلب العلم: كان الدارس إذا ما تم تعلمه في بلاده يسافر بعيدا ويغترب طويلا وينزل بإحدى عواصم العالم العربي ويجالس من اشتهر من علماء العصر ويحضر دروسهم ويسعى في إجازاتهم، يقيد ما حدث ويلخص ما اقتطف، وتصبح هذه التقاليد هيكل كتاب يعرف فيما بعد بالرحلة في طلب العلم (مولاي بلحميسي، 1981: 09).
والرحلة العلمية إذا ضحت بوصف البلدان والمجتمع، فإنها تفننت في الحديث عن الحياة الفكرية والنشاط الثقافي، وما هذا بالجانب الذي يستهان به (مولاي بلحميسي، 1981: 09). {محمد المكي الدرعي الناصري}

الرحلة الاستطلاعية: يقوم بها المغامر أو المتجول، ويدون أثناءها ما يعجبه أو يجلب انتباهه، أو يخالف ما تعودته (مولاي بلحميسي،

1981: 11). { الحسن بن محمد الوزان الفاسي المعروف ب: الأسد الإفريقي }

الرحلة للسفارة: وهي بعث من يقوم بمهمة في البلدان الأجنبية أو الإسلامية، وعند العودة منها يكتب السفير "تقريراً" مفصلاً يذكر فيه كل ما رأى أو حدث له أو اطلع عليه (مولاي بلحميسي، 1981: 09).
{ التمروتي عندما كلفه أحمد المنصور بالذهاب إلى اسطنبول }

الرحلة إلى الحجاز: برع العلماء في وصف رحيلهم وإقامتهم في البقاع المقدسة، حتى أصبحت كتبهم دليلاً لمن ينوي السفر ومرشداً لمن يحذر الخطر (مولاي بلحميسي، 1981: 12). { العبدري صاحب الرحلة المغربية } .

التعريف بالمؤلف - صاحب الرحلة:

هو الشيخ العربي بن عبد الله شنتوف العسكري، يرجع نسبه إلى الولي الصالح سيدي أحمد بن علي المشهور بالمنطقة، وعن ذلك يذكر: "أنا عبد ربه محمد العربي نجل بن عبد الله بن عبد القادر، بن محمد، الملقب ب: بويى بن علي، بن الهاشمي بن علي الملقب بأبي شنتوف، بن سحنون بن أحمد بن محمد بن أحمد بن علي بن عيسى بن أبي القاسم المحترم بن أحمد المكرم بن محمد العسكري بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق، بن محمد الباقر بن زين العابدين علي بن الحسين بن سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء بنت سيد الوجود محمد

رسول الله صلى الله عليه وسلم" (العربي بن عبد الله العسكري،
2012: 81).

وذكر بن نعوم أنه الشيخ محمد العربي بن عبد الله بن عبد القادر
المدعو بن علي بن محمد بن الهاشمي بن علي الملقب بأبي شنتوف بن
سحنون بن أحمد بن محمد بن سيدي أحمد بن علي الحسيني الحسيني
(العربي بن عبد الله شنتوف، 2019: 08).

يرجع نسبه إلى عائلة شنتوف الي تعد من بيوتات فرع أولاد
سيدي الهاشمي بن علي بوشنتوف (العربي بن عبد الله شنتوف،
2019: 08).

ولد سنة 1857 بماضرة معسكر، حفظ القرآن الكريم، وتفقه في
علوم الدين واللغة (العربي بن عبد الله شنتوف، 2019: 08).

وهو ثالث مشايخ الزاوية الدرقاوية بمعسكر، التي تولى أمرها سنة
1922 م (العربي بن عبد الله شنتوف، 2019: 09). تتلمذ على أبيه
الشيخ بن عبد الله، فقرأ عليه كتاب الصلاة من مختصر خليل، وشرح
ألفية بن مالك في النحو، والصغرى للسنوسي في التوحيد، وشرح
البخاري في الحديث، كما تتلمذ على أخيه عبد القادر، فدرس عليه
الفقه، والنحو، والبلاغة، والتفسير، والصحيحين، وشرح الموطأ، وإحياء
الغزالي، والمنن والمواهب، وغيرها (حبيب بوزوادة، 2014: 109).

ترك الشيخ شنتوف زيادة على مخطوط الحقيقة والمجاز عدة مؤلفات ذكر صلاح الدين بن نعيم بعضها - ربما لعلاقته العائلية بالشيخ (العربي بن عبد الله العسكري، 2012: 09-10):

نور للإنسان في الرحلة إلى الغوث بتلمسان، وقد ذكره صاحبه في رسالة تعطير الأنفاس، ويمثل رحلته إلى ضريح سيدي بومدين الغوث بتلمسان، وقد ألبسها الشيخ العربي من التصوف ومسائل العقيدة والكلام مثل ما فعل في الحقيقة والمجاز .

العقد الصحيح المنتظم ، وهو نظم في التوحيد وعلم الكلام .

رسالة تعطير الأنفاس لإخواننا من أهل فاس .

- رسائل صوفية .

- تقايد تحتاج إلى جمع وتصنيف .

- قصائد في الرثاء والمديح .

أما نسبه الديني فهو درقاوي الطريقة، وقد أكد ذلك حين قال: أما نسبي الديني: فإني أخذت الطريقة الشاذلية الدرقاوية الغريسية والاسم الأعظم عن أبي والدي الصوري، بسنده إلى رب العزة، ثم أخذت أيضا عن أبي المعنوي وأخي الصوري تلقين الاسم الأعظم والإرشاد والترقي للغير، بإذن منه صلى الله عليه وسلم بواسطته ... وأبي المعنوي وأخي الصوري هو أبو الفيض مولانا عبد القادر (العربي بن عبد الله العسكري، 2012: 102-103) . كما يستطرد قائلا: " ... به عن أبي العزائم مولانا العربي بن عطية الحسني {الطويل} ... عن العارف

الشهير، شيخ المشايخ، مولانا العربي الدرقاوي الحسني الفاسي البوبريحي وفاة، عن العارف الكبير سيدي علي الجمل بن عبد الرحمن الحسني الفاسي " (العربي بن عبد الله العسكري، 2012: 111) .

2 / التعريف بالمحقق:

هو مخلوفي ميلود المحفوظي، من مواليد 1961 بمعسكر، خريج المدرسة الوطنية للإدارة - الدفعة 17، شغل عدة مناصب إدارية وهو الآن موظف بمديرية الأشغال العمومية لولاية معسكر، وهو مهتم بالتراث الصوفي والتاريخ المحلي لمنطقة معسكر.

من أعماله التي ذكرها لنا في لقائنا به (مخلوفي ميلود، 2022):

- تحقيق مخطوط الحقيقة والمجاز في الرحلة إلى الحجاز للشيخ شنتوف العسكري - كتاب مطبوع.

- دراسة وتقديم مخطوط بهجة الروح والقلب بما جمعه من الأذكار للشيخ محمد بن الحبيب - تحت الطبع .

- مجموعة من المحاضرات في التاريخ والتراث .

- معجم أعلام الديار العسكرية من العلماء والأولياء وأهل الفن

والنجباء - في طور الإنجاز .

- تحضير سيناريو فلم حول الشيخ أبي راس الناصر.

- دراسة كتاب الحسب والنسب للشيخ الهاشمي بكارة .

- ثلاث دراسات منشورة في مجلة نصوص معاصرة اللبنانية .

3 / التعريف بالكتاب - الرحلة :-

هو رحلة حجازية قام بها صاحبها - الشيخ العربي بن عبد الله شنتوف العسكري عام 1901 م، وكتبها سنة 1920 م وصور فيها عرفانيا العديد من الوقائع والأحداث بمختلف تفاصيلها، وسماها الحقيقة والمجاز في الرحلة إلى الحجاز، وهو ما أكده حين يبين تسمية الرحلة: "... ولما شرعت في الجمع والتسجيل، عزمت على تسمية ما أسطره في هاته الأوراق وأحرره بـ "الحقيقة والمجاز في الرحلة إلى الحجاز" لأنني قد جمعت بين الظاهر والباطن والسائر والقاطن. ولك أن تسميه انطواء الوجود في كعبة السجود (العربي بن عبد الله العسكري، 2012: 13-14)", "وتجربة الكتابة عند الشيخ شنتوف بأسلوب الرحلة ينزاح عن المعنى السردي ويطلب الفهم التداولي الذي يبنى على استعمال اللغة في المقام طبقا للحال" (بوغازي حكيم وحمودي محمد، 2017: 34).

تشكل الرحلة إضافة إلى مقدمة المحقق من الآتي:

تمهيد ضمنه العناصر الآتية:

- السفر بين الحس والمعنى: بين فيه دواعي الرحلة وشوقه لأداء فريضة الحج.
- كما ذكر أهمية السفر.
- وقدم بعض الحكم والوصايا للمريدين.
- إضافة إلى طلب الإذن من شيخه بالسفر، وذكر مناقب شيخه.
- جمع بين الحقيقة والشريعة.

قام المؤلف برحلة في عالم الأشباح، وأخرى في عالم الأرواح، لذلك نجد يقدم تفسيرات غيبية عرفانية للكثير مما واجهه في طريقه ... فهو يريد أن يشرك القارئ في رحلته الروحية الصوفية بنفس قدر إشراكه في رحلته المادية البدنية (حبيب بوزوادة، 2014: 100). فلا غرو أن نجد الشيخ العربي ينحو نحو دائرة الاتساع، ويستفيض من دلالات عالم الأمر وعالم الخلق، فينفلت بذلك عن حدود الكلمات، ويفتح هامشا على نص المتصوفة (بوغازي حكيم وحمودي محمد، 2017: 34).

أما الرحلة فقد قسمها إلى قسمين:

فبعد أن يبين مقدمات السفر قائلا: " ولما عزمنا على السفر، جاءت الوفود لمقابلتنا فتبادلنا ألفاظ الوداع، ولما قربت مغادرة الديار العسكرية، نويت قصر الرباعية ... وعند شد ثياب السفر علي، صليت ركعتين في مزاراة أبي الوالد قدس سره، ثم دعوت بدعاء السفر. ورحلنا عن الوطن بكرة على الساعة الثامنة، متوكلين على الله، متوجهين للمقصد الأسنى، لتسع ليال خلت من ذي القعدة الحرام عام 1319 هجرية" (العربي بن عبد الله، 2012: 31).

رحلة الحقيقة والمجاز في الرحلة إلى الحجاز رحلة حسية معنوية، عمل فيها الشيخ العربي شنتوف على استحضر القلب، وقسم رحلته إلى باين الأول من معسكر إلى وهران، وهي رحلة برية أتى فيها على ذكر الأماكن التي مر بها وهي الرابطة بين معسكر و وهران، والباب الثاني أطلق عليه اسم من وهران إلى جدة، وهي رحلة بحرية، وكانت

الرحلة البحرية انطلاقاً من مدينة وهران إلى مدينة جدة، حيث وصف جدة وصفاً دقيقاً وحتى المياه التي يشرب منها أهل جدة، ثم منها إلى مكة المكرمة حيث قام بتأدية مناسك الحج والمزارات الموجودة هناك، ثم إلى المدينة المنورة حيث الروضة الشريفة، وقبر صحابة رسول الله عليه الصلاة والسلام، وعمل في رحلته على عرض الجانب التاريخي خاصة معسكر مسقط رأسه، حيث ركز على الآثار التاريخية هناك (اسباغو رشيد، 2015: 67-68).

وقد قسمت الرحلة إلى مرحلتين إثنين هما عالم الخلق وعالم الأمر، وفي هذا السياق يذكر رشيد اسباغو: ... وما تحيل عليه رحلة الحقيقة والمجاز في هذا الجانب، هو انفراجها إلى محورين في البنية الفكرية والسردية مما يجعلها تنقص بعدين زمنيين، وكل بعد زمني من هذين البعدين إلا ويفتح على أزمنة مختلفة تخصه. أما البعد الزمني الأول حسب ما يوحي به النص فهو المتعلق بالحقيقة، وأما الآخر فهو الذي يتعلق أمره بالمجاز، مما يجعلنا عندما نتقص هذا النص أن نفتحه مجالين (اسباغو رشيد، 2015: 76).

أ - المرحلة الأولى: التنقل من مدينة معسكر إلى مدينة وهران وسماها: عالم الخلق، وقد حدد فيها الشيخ شنتوف المحطات الأرضية والمحطات المعنوية - على حد قوله - بداية من محطة القطار، وركوب القطار - الدرجة الثانية أي الاقتصادية - من معسكر إلى باريقو {المحمدية}، وتوجه القاطرة نحو تيزي، ومنه إلى وهران، وقد أكد

بوغازي حكيم ومهودي محمد ذلك: "... فأما الباب الأول فقد خصه للحدث عن عالم الخلق الذي صور فيه الرحلة من معسكر إلى وهران برا، ومن ثم تناوله للمراكز التي استقر بها على نحو شيد بالكثير من العبر الصوفية والمنح الجليلة في جو مهاب".

وهو انتقال صوري إشارة إلى نقطة القلب، ثم هاته الحركة إشارة إلى التوجه والإنابة، ثم الركوب وسط القطار إشارة إلى التوجه الإلهي. وفي هذا السياق يذكر: " فحالنا من الانتقال إشارة إلى العبور من عالم الملك إلى عالم الملكوت إلى عالم الجبروت، ثم الوصول إلى عالم اللاهوت، وهو مقام الفناء الكلي... ثم مقام قاب قوسين، وهو مقام الصفات أي ذات الواحدية، ثم مقام أو أدنى، وهو مقام الذات الأحدية" (العربي بن عبد الله، 2012: 57-58).

ويواصل قائلا: "... والتمكن في هذا القطار الإشاري ولاية، وهو القصد... وتلك الولاية هي أول السفر الذي هو التوجه، ثم انتهاء السفر إلى محطة تيزي الإشارية، الذي هو السفر من الخلق إلى الحق بإزالة التعشق عن المظاهر والأغيار، والخلص من القيود والاستهتار بها، ومن يعبر المنازل والمقامات، يحصل المراتب والدرجات" (العربي بن عبد الله، 2012: 58).

إلى أن قال: "وهذه أول خطوة خطونها أسفل سافلين: أم عسكر القالب، الذي هو عالم الملك البري، ثم جذبنا بجذبة "أرجعي إلى ربك" على مركب تلك الهمة الطيارة، من عالم الملك إلى ساحل بحر الملكوت

الوهراني . ثم سخر لنا فلك القلوب وسرنا في بحر الملكوت إلى عالم الربوبية" (العربي بن عبد الله، 2012: 58).

يجعل الشيخ شنتوف عالم الخلق مرتبطا بالرحلة البرية من معسكر إلى وهران، وفيه يفتش عن المعاني الروحية والأنوار الصوفية، جاعلا وصفا دقيقا للمحطات الأرضية والمحطات المعنوية ... وفي هذا المقام أسمى درجة الكتابة واللغة الواصفة لمقتضى الحال الذي عليه الكاتب (بوغازي حكيم وحمودي محمد، 2017: 38).

ولا يفتأ الشيخ يذكر المحطات تترأ من قبيل معناها الصوفي تارة ومعناها الحقيقي تارة أخرى، وعند نهاية رحلته البرية - عالم الخلق - يطلق الكاتب العنان للحديث ذي الشأن الصوفي والمذهب الكلامي (بوغازي حكيم وحمودي محمد، 2017: 38).

مرحلة الذوق الوجداني، وهي التي يتدرج فيها المرید عبر مقامات النفس من الأمانة بالسوء إلى اللوامة إلى المطمئنة فالراضية، فالمرضية، فالمهمة، فالكاملة، وذلك بتهديب روح الفقير تدريجيا عبر المراتب والمقامات بهدف الوصول إلى التخلق بأخلاق الرسول عليه الصلاة والسلام، والزيادة في التحقق من علوم القرآن الكريم (بونقاب مختار، 2002: 68).

ب - المرحلة الثانية: السفر من مدينة وهران إلى مكة المكرمة وسماها: "عالم الأمر"، وعنهما ذكر بوغازي حكيم وحمودي محمد: ﴿وأما حديثه عن عالم الأمر فقد خص به الفصل الثاني من الكتاب، وفيه

وصف تراتيل وترانيم صوفية، تجنح نحو التجريد تارة وبين الغياب /
الحضور فينة أخرى، ولهذا الباب أثر واضح في دلالات العتبة التي
طرحها الشيخ مطلع الكتاب .

لايفنك الحديث في عالم الأمر - الجزء الثاني - في توظيف الصور
البلاغية ذات النمط الإيحائي، والتمثل الفعلي للمنحى الصوفي القادري
الذي ينتمي إليه الشيخ دينا لاطينا، وثم فإن البعد الأنطولوجي للصورة
البلاغية - مجازية، تشبيهية، استعارية - على اعتبار أنه ينبغي { تأويل
الاستعارة باعتبارها صورة { أثرى زوايا الرحلة ورسم معلما جديدا
لحقيقة الأدب الرحلي الصوفي ... وهو ما أشار إليه كثيرا في احصائه
القيم الصوفية والأوجه الحقيقية للمراكز والمحطات والمدن التي أتى على
ذكرها في رحلته (بوغازي حكيم وحمودي محمد، 2017: 38-39).

يتجه العربي شنتوف إلى الحديث عن عالم الأمر ويجعله فريدا من
حيث الإجراء اللغوي الاستعاري، بل ويبنى كل الباب الثاني على
الحقيقة الصوفية للمعالم والأركان. ويستطرد الشيخ الحديث عن
مغامرات رحلته بين المدينة المنورة ومكة المكرمة، سالكا سبيل الوصف
تارة وسبيل الاحصاء تارة أخرى، بدأ ذلك بالحديث عن الوصول إلى
الحجاز وذكر جدة وبجر الحقيقة، وفيه حديث شيق عن مدينة جدة،
متطرقا إلى بيان مناسك الحج التي أحصى معرفها الفقهية بيانا تفصيليا
ينم عن سعة علمه الفقهي. (بوغازي حكيم وحمودي محمد، 2017:
38-39).

مرحلة الشهود والعرفان، وهي العروج عبر مراتب الوجود انطلاقا من الأرض نحو السماوات، أي الوصول إلى الترتيبي الوجداني المنطلق من الذات والشعور بها داخليا (بونقاب مختار، 2002: 69).

بين الشيخ العربي شنتوف في رحلته وعرف بعدة شخصيات منها:

- شخصيات رئيسية: شيخه ووالده .
 - شخصيات ثانوية: بعض أعلام وأولياء الوطن الراشدي .
 - شخصيات تاريخية: الأمير عبد القادر .
 - شخصيات مجازية: ففي تعريفه للسالك مثلا، ذكر: ﴿ السالك مرتبة عند الصوفية، يصل إليها العبد بعد مجاهدة النفس، فالواجب على السالك صرف بقية العمر إلى الأهم، وهو معرفة الله تعالى، وهو متعلق بالقلب لا باللسان والجوارح، وينبغي للسالك والمسافر أن يكون له في كل شيء نية لله تعالى ... فإذا لم يقطع السالك عقبات العروج والنزول فهو ناقص، وفي برزخ بالنسبة إلى من قطعها كلها. وتلك العقبات هي الأجسام والأرواح والعلم والعين (اسباغو رشيد، 2015: 47-58).
- وعموما فإن هذه الرحلات ساعدتنا في التعرف على أحوال

الجزائر، والوصول إلى نظرة شاملة لأيالة الجزائر في شتى المجالات

- الحالة السياسية والأمنية.

- الحياة الاقتصادية.

- الأوضاع الاجتماعية والصحية.

- الحركة الثقافية والعلمية.

كما يمكن لأي باحث الاستفادة منها والحصول على مادة وفيرة
بخصوص:

- أهمية الرحلات كمصدر من مصادر التاريخ الجزائري الثقافي
والديني .

- التعرف على مسار ركب الحج والسفريات عامة من خلال
هذه الرحلات .

- التعرف برواد وأصحاب الرحلات .

- الوقوف على مدلول هذه الرحلات: اجتماعيا، واقتصاديا،
وسياسيا .

- التعرف على واقع البلاد العربية عامة والجزائر خاصة من
خلال هذه الرحلات .

القيمة العلمية والأدبية:

تتميز الرحلة العلمية غالبا بالأسلوب القصصي الذي يغلب عليه
السرد والوصف، ويشكل هذا الأسلوب مادة غنية وغزيرة فاعتبر نمطا
خاصا من أنماط القول الأدبي . كما اتسم الرحالة بالحرية في الكتابة،
واستقلاله في تعابيره عن المشاعر اتجاه ما يصادفه وما يراه سواء أكانت
تلك الكتابة نثرا أم شعرا (بكري حمزة، 2020: 225).

ذكر فؤاد قنديل أن قيمة الرحلة تتجلى في أساليبها التي ارتفعت
بها إلى عالم الأدب، وارتقت بها إلى مستوى الخيال الفني، فاعتمد على
السرد المشوق بما يقدمه من متعة ذهنية كبيرة، وأفاد أدب الرحلة في

صرف أصحابه عن التكلف اللفظي وتنميق العبارات إثارا للتعبير البسيط المؤدي للغرض (فؤاد قنديل، 2002: 23، 24).

ومن خلال ما تحتوي عليه كتابات الرحلة من إجازات ومؤلفات وتراجم العلماء ونصوص أدبية تصبح لدينا فكرة عن ثقافة ذلك العصر ومستواه، مما يجعل كتب الرحالة مصادرا هامة للمعارف العلمية المتنوعة (ليلى غويبي، 2010: 22).

كما تحتوي كتب الرحلة على قيمة علمية حيث تثقف القارئ وتثري فكره ومعلوماته حول منطقة ما أو مجتمع معين .

القيمة الاقتصادية:

غالبا ما تتحدث الرحلة عن الصناعات وطرق التجارة ومختلف التعاملات والمعاملات، وكذا الزراعة والثروة الحيوانية، فهي بذلك توفر مادة دسمة لدارسي الاقتصاد . فالرحالة يصف عموما النشاط الفلاحي لمنطقة ما ويعدد أهم محاصيلها، كما أولت الرحلات اهتماما كبيرا بمجال الري كون الماء يمثل عنصرا أساسيا لسالك الطريق، لذلك نجد أنه يحدد لنا مناطق تواجد المياه، ومناطق انعدامها، كما قد يصف لنا نوعية هذا الماء (بكري حمزة، 2020: 227).

أما بخصوص المجال الصناعي، فقد اقتصرت كتابات الرحالة على ذكر بعض الحرف فقط، وقد يعود ذلك لطبيعة المجتمعات البدوية.

حدد الرحالة مناطق العبور بحيث ركزوا على أماكن الأسواق
وأماكن التجارة وتبادل السلع. وبينوا أنواع السلع والبضائع المتبادلة،
وأساليب البيع { المقايضة }.

- القيمة الاجتماعية:

كانت الرحلة مناسبة للتعرف على المجتمعات والأجناس، وبالتالي
اعتبرت مصدرا لوصف الثقافات الإنسانية وجوانب من حياة الناس
اليومية في مجتمع معين وخلال فترة زمنية محددة (بكري حمزة، 2020:
227). لقد تمكن الرحالة - إلى حد كبير - من تصوير حضارة العصر
الذي عاشوه وعاشوه، إذ دونوا كل ما يتعلق بالمجتمع وبالطبيعة، ونقلوا
معلومات تفيد المؤرخ والجغرافي وغيرهما .

كما ساهمت الرحلة في التواصل بين الشعوب، ولعبت دورا هاما
في تمتين الروابط الثقافية والاجتماعية .

القيمة التاريخية والجغرافية:

الرحلة مصدرا دون صاحبه كشاهد عيان عاصر الحدث وسجله
في وقته فالرحلة وثيقة تاريخية مهمة لا يمكن لأي مؤرخ الاستغناء عنها
أو إغفالها، فهي غنية بالتواريخ والمعالم، والأحداث والوقائع في مختلف
مناحي الحياة ومجالاتها، وتعد بذلك حسب ليلى غويني مادة خصبة
وأساسية لا غنى عنها في الدراسات التاريخية وغيرها من التخصصات
الأخرى (ليلى غويني، 2010: 22) .

فالرحلات تعد من أهم مصادر كتابة التاريخ تلتقي فيها الرؤى التاريخية والجغرافية والأدبية... ولاشك أن المتمعن في كتب الرحالة يجد أن هؤلاء الرحالة يتفاوتون في درجة ملاحظاتهم واهتماماتهم المتعددة الثقافية العلمية والاجتماعية السياسية (عبد القادر بكاري، 2005: 226).

أما بخصوص الأهمية الجغرافية فالرحالة يصف المسالك والممالك، وبالتالي فإنه يقدم خدمة جليلة للجغرافي بالرغم من بعض المآخذ أو العثرات التي سجلناها، والتي وقف عليها حبيب بوزوادة مثل كثرة الأخطاء اللغوية، وعدم الاتفاق على ضبط واحد لأسماء الأعلام، وتردد المؤلف في بعض أحكامه بين التسليم والانتقاد (حبيب بوزوادة، 2014: 101-103)، إلا أن الكتاب لا يخلو من المتعة والقيمة العلمية، خاصة وأنه يسجل الانطباعات ويصور المشاهدات لنقل الفائدة للقارئ، زيادة على ميزة تقديم الرحلة عرفانيا . لقد برع الشيخ شنتوف في سرد الرحلة على الطراز الصوفي، معانقا عالم الخلق تارة، ومتحدثا عن صفات عالم الأمر تارة أخرى. (بوغازي حكيم وحمودي محمد، 2017: 35).

تبنى رحلة الشيخ العربي في هيكلها العام على مسارين، تمكن الرحالة أن يوفق بينهما باقتدار: الأول وهو الرحلة الحسية في جانبها المادي، انطلاقا من معسكر بغرض أداء فريضة الحج، مع ما مر به من المدائن والبلدان، وما لقيه من العامة أو المشايخ والأعيان، وما حصل له

في الطريق من الأهوال والصعاب . والثاني فهو الرحلة الروحية التي تعد الثمرة والغاية، لذلك فإن جميع ما يواجهه الشيخ في طريقه يفسر تفسيراً عرفانياً، قائماً على نظرية صوفية (حبيب بوزوادة، 2014: 99-100).

وصف لنا السارد كل شيء مر على عينيه فهو بمثابة الكاميرا التي تصور كل شيء، وهذا من خصوصيات الرحالة الحجازيين. فالرحلة يترصد كل شيء حتى إذا رجع إلى أهله وصف لهم ذلك وصفاً دقيقاً لا ينقص شيئاً مما شاهدته ورآه (اسبغو رشيد، 2015: 83).

الرحلات الحجازية هي أكثر أنواع الرحلات شيوعاً، وقد برع جمهور الأدباء والعلماء في وصف رحيلهم وإقامتهم، حتى أصبحت كتبهم دليلاً لمن ينوي السفر، ومرشداً لمن يحذر الخطر (مولاي بلحميسي، 1981: 12).

- ضعف عملية التحقيق لعدم اختصاص المحقق.
- غلبة الطابع العرفاني الصوفي على الرحلة.
- تنوع معلومات الكتاب وراثتها.
- التأكيد على أهمية هذه الرحلة في الكتابة التاريخية والصوفية.

خاتمة:

يعد أدب الرحلة تراثاً جديراً بالبحث والدراسة لذلك وجب العناية به والكشف عن أسراره وكنوزه والتنبيه عليه لما يوفره من مادة متعددة الجوانب تتخذ عادة الوصف عمادها والأخبار أساسها، كما قد

تتجاوز ذلك حينما يكون صاحبها ناقدا بصيرا بالأمر، خبيرا بعلمها فيتمكن من تقديم تعليقات دقيقة ونصائح ثمينة .

تنوعت الرحلات باعتبار دوافعها وأغراضها، فالرحلة هي سفر، يعمل صاحبها على تسجيلها أو تدوينها فتمثل مصدرا من مصادر كتابة التاريخ الثقافي والديني، الاقتصادي والاجتماعي، والسياسي العسكري، لما لها من أهمية في تدوين الأحداث والوقائع التي عاشها الرحالة عبر فترات تاريخية مختلفة من الفتح الإسلامي إلى يومنا هذا .

وختاما يمكننا القول أن الرحلة عموما هي وثيقة حية ومصدر معاينة تمكننا من التعرف على الكثير من المعلومات من خلال النصوص التي احتفظت بها والوقائع التي سجلتها والأحداث التي صورتها بذكر بعض ما رآه صاحبها وسمعه وسئل عنه واجتمع به، وبذلك فإن الرحلة تعد من المصادر الجغرافية والتاريخية والاجتماعية الهامة والأساس كون صاحبها يستقي المعلومات من المشاهدة الحية والتصوير المباشر .

المراجع:

اسبغو رشيد، البنية السردية في الرحلة الجزائرية الحجازية: رحلة الحقيقة والمجاز للعربي بن عبد الله العسكري أمودجا، ماستر في الأدب الجزائري، المركز الجامعي عين تموشنت، 2015 - 2016 .

بكارى عبد القادر، الرحلة ودورها في التدوين التاريخي الجزائر رحلة أبو رأس الناصري نموذجاً، مجلة عصور الجديدة، جامعة وهران، العدد: 19 - 20، سنة 2005.

- بكري حمزة، المجتمع الجزائري من خلال كتابات الرحالة المغاربة في القرنين 17 و18 م، دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وهران، 2020.
- بلحميسي مولاي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1981 .
- بوغازي حكيم، حمودي محمد، مقامات الخطاب الصوفي في أدب الرحلة الشيخ العربي بن عبد الله العسكري أمودجا- مقارنة تداولية -، الذاكرة، العدد الثامن، السنة 2017، ص، ص: 33، 46.
- بونقاب مختار، تاريخ الطريقة الدرقاوية بالجزائر، ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وهران، السنة الجامعية: 2002 - 2003 .
- بونقاب مختار، مدرسة مازونة الفقهية: التأسيس والتدريس، مقال ضمن كتب "العلم والعلماء والنخب في المغرب" جامعة سيدي بلعباس، مارس 2020 .
- حباش فاطمة، إسهامات مولاي بلحميسي في كتابة التاريخ المحلي من خلال قراءة كتابه " تاريخ مازونة"، مجلة عصور الجديدة، جامعة وهران، المجلد 09، العدد: 3، السنة: 2019 .
- رنيمة أحمد، مولاي بلحميسي 1930-2009 مؤرخ البحر والبحرية في الجزائر، مجلة عصور الجديدة، جامعة وهران، العدد: 3 - 4، السنة: 2011 / 2012 .
- عبد الحكم الجيلالي العطايفي، المرأة الجليلة في ضبط ما تفرق من أولاد سيدي يحيى بن صافية.....
- العربي بن عبد الله العسكري، الحقيقة والمجاز في الرحلة إلى الحجاز، تحقيق: مخلوفي ميلود المحفوظي، الطبعة الأولى، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الرغاية: المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، 2012 .
- العربي بن عبد الله شنتوف، رسالة تعطيرا لأنفاس لإخواننا من أهل فاس، دراسة وحقق وعليق: صلاح الدين بن نعم، الجزائر: دار المجدد للنشر والتوزيع، 2019 .

غويني ليلي، التفاعل الثقافي بين دول المغرب في العهد العثماني من خلال الرحلات
الحجازية الجزائرية، ماجستير، جامعة الجزائر 2، 2010-2011 .
قنديل فؤاد، أدب الرحلة في التراث العربي، مكتبة الدار العربية للكتاب، ط2،
القاهرة، مصر، 2002.

الناصرية

الناصرية